مجلة الرائد

العدد : ٢١٩ الموافق في محرم ١٤٢١ هجري ٥ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : على هامش السنة الهجرية الجديدة	بقلم : أ. عصام العطار

لقد ماتت ذكرياتُنا الإسلامية ، وذكرياتنا التاريخية في حياتنا ، وفقدت تأثيرها القديم

فرّغوها من حقائقها ودلالاتها ودروسها وعبرها ، وغادروها جسداً بلا روح وألفاظاً بلا معنى ، وحوّلوها في أحسن الحالات إلى روتين مملّ ، أو إلى ضَرْب من الفلكلور الذي لا يَتّصل بحقيقتها وروحها ، وإن تردّدت فيه أسماؤها ، ونُسِب زوراً إليها ..

وهكذا ماتت هذه الذكريات في حياتنا ، وفقدت دورها الفاعل عندنا ، ولم تعُد توقِظُ ، ولم تعُد تحفِزُ ، ولم تعُد توحي .. ماتت هذه الذكريات ! .. تأتي أحياناً وتمضي ، لا يكاد يحفِل بها أحد ، ولا يكاد يهتمّ بها أحد ، وأكاد أقول : لا يحسّ بها أحد !!

أكتب هذه السطور في ١/محرّم ، اليوم الأول من السنة الهجرية الجديدة : ١٤٢١

وخطر لي أن أتصل ببعض من أعرف من المسلمين الطيّبين ، وأن أطرح عليهم هذا السؤال :

- هل يُذكّرك هذا اليومُ بشيء ؟

قال الأقلّون :

- نعم ، هذا أوّلُ السنة الهجرية الجديدة ، وهو يذكّرنا بهجرة رسول اللهﷺ من مكّة إلى المدينة

وقال الأكثرون بعد همهمة وغمغمة وصمت :

- إنه لا يذكّرنا بشيء خاصّ !!

وسألت الذاكرين من المسؤولين :

- ما هو أثر هذا اليوم في حياتك ، وفي حياة أسرتك ، وبين إخوانك وأصحابك ؟ وهل شعرتَ فيه بحاجتك إلى إعادة قراءة قصّة الهجرة ، والتفكّر فيها ، والاعتبار بها ، وبواجبك في التذكير بالهجرة وبما تنطوي عليه من دروس ؟

وهنا كان شبهُ إجماع ، وكان الصمتُ أو الاعترافُ بالقصور هو الجواب !!

⊙ ⊙ ⊙

وليست المسؤوليةُ في ذلك مسؤولية الأنظمة المعادية للإسلام وحدها ، ولا مسؤولية الاتجاهات المخالفة للإسلام وحدها ، ولا مسؤولية المنحلّين الذين لا يَعُوجُون على خلُق ودين وحدهم ؛ ولكنها أيضاً مسؤوليةُ كثير من المسلمين الطيّبين الذين يجرفهم تيّار المصالح والمنافع والرياء والنفاق ، ويستحون أن

يواجهوا أنفسهم في مرآة الإسلام الحقّ كما أنزله الله ، وكما يتجسّدُ في حياة الرسول ﷺ ، فيهربون من هذه المواجهة ، وهذه الذكريات

قال لي أحد المسلمين الطيّبين المعروفين :

- لقد أصبحتُ أخاف وأستحي أن أفتح كتُب السيرة ، وأن ألقى الرسول ﷺ في سمائه العالية وأنا أتمرّغ في الوحل

لقد انفصلتُ بحياتي وسلوكي وأمنياتي عن حياة الرسول ﷺ ، فإذا تكلّمتُ عنه وعن سيرته تكلّمتُ بلساني لا بقلبي ، وبمعرفتي لا بإيماني ، وواقعي يكذّب ما يقولُ لساني !! ولم أضع اليدَ والدواءَ المؤلمَ على الجراح ، ولم أذكر شيئاً يُغضبُ الطاغوت ، أو يَحْرِمَ من مكاسب الدنيا !..

جُمَلٌ وألفاظٌ أُرَدّدُها .. ماتت معانيها في نفسي وحياتي قبل أن تصل إلى غيري

جمل وألفاظ كأنها من عالَم غير عالمنا لعالَم غير عالَمنا !. ليس لها اتصال بواقعنا وحاضرنا ومستقبلنا ، ولا تفتح أبواباً مغلقة للهداية والتقدّم والخلاص !!

وقال لي مسلم طيّب ممن لم يُذَكِّرْهُمْ يوم ١/محرم بشيء :

- لقد أخجلْتَني والله من نفسي ، وكأنك أيقظتَني من قبر ، أو غرست سكّيناً في صدري !

مَنْ مِنّا لا يتذكّر بداية السنة الميلادية الجديدة ونهايتها ، أو لا يفكّر فيها ويترقّبها ، أو لا يشارك (أقصد هنا الأكثرية لا الكل) قليلاً أو كثيراً في بعض ما يكون فيها

ولقد تكونُ أيضاً ذكرياتٌ احتفالية ، وطنية أو حزبية أو شخصيّة ، مقبولة أو مذمومة ، في بعض سفاراتنا العربية والإسلامية ، فترى بيننا من يَعُدُّ لها الأيام عَدّاً ، ويفرح أن يُدعى إليها ؛ بل إنّ منهم من يستفرغ الجهد ، وينفق الوقت والمال ، ليكون له « حظٌّ » أو « شرف » المشاركة في الإعداد لها وإنجاحها ، زُلْفَى من بعضهم في بعض الأحيان للطاغوت لا لله ، وسَبَباً للدنيا لا للآخرة ، وحِرْصاً على منفعةِ نفسٍ لا خدمةِ أمّةٍ ووطنٍ وشعب !!..

فأين هؤلاء المسلمون من ذكرياتنا الإسلامية العظيمة ؟!

أين منها اهتمامهم ؟ وأين منها جهدهم ؟ وأين منها حرصهم وبذلهم لتعميمها وترسيخها وجمع القلوب والجهود عليها ؟!

⊙ ⊙ ⊙

وبعد ؛ فإنني أدعو المسلمين جميعاً في بلادهم وفي مُغْتَرَباتهم إلى إحياء هذه الذكريات العزيزة

الكريمة الرائعة ، في قلوبهم وعقولهم وحياتهم ، وفي مساجدهم ومحافلهم ومنتدياتهم

اجعلوا هذه الذكريات - يا مسلمون - أفراحَكم وأعراسَكم وأسمارَكم ، تَنْضَمُّ بها القلوب إلى القلوب ، والصفوف إلى الصفوف ، والخُطى إلى الخُطى في سبيل الله عزَّ وجلَّ

إننا بأمسِّ الحاجة في هذه الأوقات إلى هذه الذكريات ، تُعَزّز هويتنا وشخصيّتنا ، وتغذّي عواطفنا ومشاعرنا ، وتُجدّد صلتنا بديننا وتاريخنا ، وتشدُّ بعضنا إلى بعض في مواجهة التحديات الكبرى

إننا بحاجة إلى هذه الذكريات ، تُعيد الحياةَ فينا وقد أوشكنا نتحوّل إلى جُثَث هامدة متعفّنة ، وتردُّ إلينا ثقتنا بربنا ، وثقتنا بأنفسنا ، وثقتنا برسالتنا ومستقبلنا

إننا بحاجة إلى هذه الذكريات ، تبعثُ فينا الكرامة بعد الخنوع والهوان ، والعزّةَ بعد الذلّ والإذعان ، والأملَ بدل اليأس القاتم والإحباطِ والاستسلام ، وتَحْفِزُنا إلى التحرّر والتقدّم والعمل والبناء والمسابقة والسبْق في مختلف المجالات ، والجهادِ الخالص الصابر المتواصل من أجل مستقبل أفضل لنا وللإنسانية والإنسان

إننا بحاجة إلى هذه الذكريات - يا مسلمون - فلا تُضَيِّعوا ولا تُهملوا هذه الذكريات

لقد غَيَّرَ الرسولُ ﷺ العالمَ كُلَّهُ على امتدادِ المكان والزمان

وغيَّرَ الإنسان : سَريرَةً الإنسان وعلانية الإنسان

وغيّر الموازينَ والمقاييسَ والعلاقات

وغيّر الأخلاقَ والعادات والمجتمعات

ورفَعَنا ورفَعَ الإنسانية كلَّها إلى أعلى ، وتقدّم بنا وتقدّم بالإنسانيةِ كلِّها إلى أمام ..

فأيْن لنا بقبَسٍ من روح الرسول ، وهداية الرسول ، والأُسوةِ الحسنةِ - بهذا الرسول

وما أفظع جناية من يحاولونَ أن يحجبوا عنّا نوره ، وأن يطمسوا في نفوسنا وفي حياتنا سيرتَه وتعاليمَ رسالتِه العظمى ..ونحنُ أحوجُ ما نكونُ إلى سيرتِه ورسالتِه والتأسّي به ﷺ